داعش: من الدولة إلى الخلافة

■ حميدي العبدالله

أعلن في مؤتمر صحافي حضره مقاتلون، وتلا البيان الناطق الإعلامي باسم داعش الذي اختفى وراء قناع لكي لا يجري التعرّف على شخصه، انتقال داعش من الدولة الإسلامية في العراق والشام إلى الخلافة الإسلامية، وأعلن تنصيب البغدادي خليفة للمسلمين وطالب المسلمين بمبايعته.

لا شك في أنّ الإعلان مثير للضحك، لا سيما أنّ الشخص الثاني بعد الخليفة إضافة إلى الخليفة ذاته، يخشى أن يخرج على الناس بشخصه ويعرّف عن نفسه، ولكن ما الذي دفع داعش للانتقال من الدولة إلى الخلافة؟

بداية لا بدّ من توضيح الفرق بين الدولة والخلافة. الدولة تعني أنّ كيان الدولة الإسلامية التي يسعى داعش إلى إقامتها محدّدة في نطاق جغرافي معيّن، وهو العراق وبلاد الشام. في حين أنّ الخلافة تعني أن تشمل إدارة الخلافة كلّ المناطق التي تقطنها غالبية مسلمة، وتتعدّى حدود العراق وبلاد الشام لتشمل بلاد المسلمين كلّها.

ما دفع داعش إلى إعلان الخلافة والتخلي عن الدولة عاملان أساسيان:

العامل الأول، السعي إلى إخضاع كلّ الحركات الإسلامية لسيطرة داعش، ولا سيما التنظيمات التي تنشط في العراق وبعض مناطق سورية، حيث يسيطر داعش. وتكريسه بوصفه المرجعية والقيادة الوحيدة لكلّ التنظيمات، وأيّ نشاط تقوم به أيّ تشكيلات إسلامية في مناطق سيطرته يجب أن تكون تحت قيادته وإمرته. وهذا يعني أنه على جميع الفصائل الإسلامية من جيش «النقشبندية» إلى «جيش الإسلام» إلى «هيئة العلماء المسلمين» إلى «جماعة أنصار السنة»، أن تبايع الخليفة البغدادي على السمع والطاعة وعلى الخضوع لإمرته.

العامل الثاني، كسب مزيد من الأعضاء والناشطين في الحركات الإسلامية ودعوتها للانضمام إلى تنظيم داعش، فمن المعروف أنّ جميع الحركات الإسلامية من الإخوان المسلمين إلى الجماعات السلفية إلى تنظيمات القاعدة المختلفة، تثقف عناصرها والمنتسبين إليها بالادّعاء أنها تسعى إلى إقامة الخلافة الإسلامية، وإذا كانت قد قبلت أي شكل آخر من أشكال الحكم، فذلك مجرّد خطوة أولى على طريق التمكين تمهيداً لقيام الخلافة.

اليوم إعلان الخلافة من قبل داعش يعني أنّ جميع مؤيدي الجماعات الإسلامية على شتى مشاربها، يتوجب عليه مبايعة الخليفة الجديد ودعم الخلافة، وكلّ من لا يقوم بذلك، يحارب الخلافة وغير صادق في الدعوة إلى قيامها.

لا ريب في أنّ هذا الإعلان بدوافعه واستهدافاته ستكون له تداعيات فورية في العراق وسورية وعلى مستوى المنطقة برمّتها، ومن أبرز هذه التداعيات:

أولاً، اشتداد الصراع بين الحركات والتشكيلات الإسلامية، ولا سيما في العراق وسورية، إذ إنّ هذا الإعلان سيضيف عاملاً جديداً إلى عوامل الصراع التي كانت وراء الاقتتال الدائر بين هذه الجماعات في سورية، لأنّ غالبية هذه الجماعات ستعارض هذا الإعلان بدعوى أنّ الظروف لم تنضج بعد لإقامة الخلافة، وهذا عمل متهوّر لا تمكن مجاراته.

ثانياً، إنّ بعض أنظمة المنطقة، ولا سيما القريبة من حدود سيطرة داعش مثل الأردن والسعودية والكويت، ستجد نفسها أمام تحد جديد لأنّ جماعات البغدادي الناشطة في هذه الدولة ستدعو حكّامها إلى مبايعة البغدادي، وهذا أمر مرفوض بطبيعة الحال، ولكن هذا الرفض قد يعرّضها لعمليات يشنّها تنظيم داعش ضدّها.

ثالثاً، إعلان الخلافة سوف يحرج الذين يتحدثون عن «ثورة شعبية» في العراق، ذلك أنّ سيطرة داعش الوحيدة، وإلغاء التشكيلات الأخرى بذريعة مبايعة الخلافة، لن تترك مجالاً للمناورة أمام الذين قللوا من شأن داعش في ما جرى أخيراً في العراق.

مقاومة عابرة للحدود لإجهاض مشروع آل سعود

■ طاهر محي الدين

عام 1916، عندما رسم الدبلوماسي البريطاني مارك سايكس ونظيره الفرنسي فرنسوا جورج بيكو، خرائط تقسيم المنطقة العربية على أعتاب سقوط الدولة العثمانية، وقسّمت علي أثره إلى كيانات قطرية غير متوازنة بالثروات، وفتّتت بلاد الشام واقتطعت أجزاء من بلاد الرافدين وغرس الكيان السرطاني الصهيوني في قلب الأمة بوعد بلفور المشؤوم لاحقاً، وانتقلت المنطقة من نير العثمانين إلى مقصلة الأوروبيين من الفرنسيين والبريطانين، وُدحر الأوروبيون من المنطقة تباعاً، إنما بعد تكريس التقسيم في المنطقة، وُكرست كيانات عميلة لتحكم تلك الأمصار ابتداءً من صهاينة الحكم في المغرب، والكيان الوهابي في الجزيرة العربية، مروراً بسليل البريطانيين في الأردن. و استمرت عمليات التجزيء وتسليم الأراضي الفلسطينية، ووقعت اتفاقات الخيانة والعمالة مع الكيان الصهيوني من كامب ديفيد ووادي عربة واتفاق غزة وأريحا إلى أوسلو وبدأت ترفع شعارات مثل الأردن أولاً ولبنان أولاً. ورغم ظهور أحزاب وتيارات قومية وعروبية كانت تدعو إلى إسقاط هذه الحدود وإقامة أوطان متحدة مثلما جرى بين مصر وسورية إلاّ أن الرجعيات الملكية العربية والأنظمة المعينة أصلاً من المنظومة الغربية والصهيو - أميركية كانت تمنع دوماً هذه المشاريع وتعمل على إسقاطها وتحاربها سراً وعلناً وتموّل جميع عمليات التقسيم وتكريس الطائفية وإشعال الفتنة المزعومة بين السنّة والشيعة لتظهيرها على أنها اختلافات عقائدية بين سكان المنطقة. وعُمل على تجزيء المجزأ مرة أخرى، انطلاقاً من الحرب اللبنانية التي أسقط الرئيس الراحل حافظ الأسد مشروعها، متزامنة مع حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران المدعومة والممولة بأموال الخليج الرجعي إبان وصول الإمام الخميني إلى الحكم في إيران ونجاح الثورة الإسلامية في الجمهورية الإسلامية في إيران وتفاقم الذعر في نفوس حكام الخليج العربي الذي أتوا جميعاً على ظهور الدبابات البريطانية إلى سدة الحكم في دويلاتهم، ثم سعرت الحرب مرة أخرى في الخليج العربي لاستجلاب الأميركي إلى المنطقة في حرب الخليج الثانية بعدما غرر حكام الخليج بنظام العراق آنذاك ممثلاً بصدام حسين، واستقدمت قوات الناتو إلى الخليج العربي بحجة حماية أراضيها و تحرير الكويت، وبدأ زمن السقوط العربي الجديد واستوطنت العصا الأميركية الغليظة في المنطقة لتهديد سورية وإيران بعد تدمير العراق، أحد رؤوس المثلث العربي الأقوى (مصر – سورية – العراق) عام 2003 بعد تم إخراج مصر من معادلة الصراع العربي . الصهيوني في اتفاقية كامب ديفيد وبقيت العقدة الأكثر صلابة في سورية وإيران التي أسماها بوش بالجائزة الكبرى، وصمد الأسد السوري في 2006 مع حليفه حزب الله ومرة أخرى في غزة. وما زال الإيراني في قوة متصاعدة رغم الحصار لأكثر من ثلاثين عاماً وأصبح قوة أقليمية وعالمية ودخل نادي الدول النووية، والأميركي صاغر مع أذنابه الأوروبيين وأعراب البعير بالتزامن مع دحر الأميركي من العراق، وفشل المشروع في سورية مع حلف عبر فيه حزب الله الحدود وأعلن السيد حسن نصر الله المعادلة الأقوى بقوله المشهور» سنكون حيث نجب أن نكون «معلناً سقوط «سايكس بيكو» في لبنان وسورية، ومسقطاً الفتنة الطائفية في سورية التي موّلت بأموال طائلة ودعمت وسلحت ودربت بأموال البترو دولار وعلى أراضي العثماني الجديد وبقية الاستعمار البريطاني في الأردن، وهزم الجمع في سورية وولوا مدبرين مرة أخرى إلى العراق، ومرة أخرى بالشماغ السعودي والنعل القطري والحقد العثماني بإشراف الصهيو - أميركي بالتآمر مع العميل الكردي البرازاني، وخيانة الذين كانوا يسمون بصقور النظام البائد في العراق من أتباع الدوري بتمويل سعودي وتنسيق تركي، وأرادوا إظهار الأمر في العراق على أنه فتنة سنية - شيعية من جديد، وهو الحلم الوهابي الأكبر والأداة الأفظع للتقسيم. وعُمل على نحو متسارع لتحقيق ما يسمى بمشروع جو بايدن لتقسيم العراق ثلاثة أجزاء، أو أقاليم شيعية وسنية وكردية، لكسر الحلقة الممتدة من طهران إلى سورية بحسب خريطة جو بايدن:

هنا يظهر التحدي الأكبر للخريطة التي رسمها سايكس وبيكو في في تنامي الحكم الذاتي للأكراد، وفي سيطرة حكومة إقليم كردستان، البيشمركة، على مدينة كركوك الاستراتيجية الغنية بالنفط في شمال العراق في 12 حزيران الفائت، ما يقرّب الأكراد من الاستقلال الكامل، وهذا ما أشار إليه الرئيس مسعود برازاني صراحة في 23 حزيران المنصرم. مع ملاحظة اختلاف الأجندات السياسية والحواضن الاجتماعية بين الحزب الديمقراطي الكردي في العراق وحزب الاتحاد الديمقراطي المسيطر في سورية قد يحول دون توحيد المناطق الكردية في البلدين تحت سقف واحد، إضافة إلى التخوف التركي من تمدد هذه الدولة لتطول الجزء الجنوبي الغربي من أراضيه، وخطر تمدد هذه الدولة لتضم جزءاً من الأراضي الإيرانية.

إن اللعبة «الداعشية» التي تمارسها الصهيو - وهابية في المنطقة سقطت مرة أخرى بفتوى الجهاد الكفائي التي أطلقها السيد السيستاني، ومشروع ما يسمى بـ«دولة الخلافة الإسلامية» الوهمي لإتمام مشروع الدولة الكردية سيسقط حكماً، فدول المحور المقاوم تدرك خطورة تمدّد الأكراد، وتمدّد دولة متطرفة وهابية في المنطقة، وهما تماثلان في نشأتهما وهيكليتهما وتشكيلهما الكيان الصهيوني.

نجد في الخلاصة أن معادلة سماحة السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله هي الحل الوحيد والأمثل الذي يجب أن تنتهجه دول محور المقاومة (سنكون حيث نجب أن نكون) أي التشبيك لمحاربة هذا الإرهاب العابر للحدود ولوقف تلك المشاريع الصهيو - وهابية التي لا تريد عبور الحدود لإسقاط سايكس – بيكو إنما تريد إثبات أن سايكس بيكو كان فاشلاً ولم يقسم المنطقة على نحو سليم، وأنه يمكن تقسيمها وتفتيتها أفضل بما يخدم تحقيق محيط الأمن القومي للكيان الصهيو - وهابي وإحكام سيطرة الصهيو - وهابي على المنطقة وضرب أمنها واستقرارها والتحكم في مصادر الطاقتين المائية والنفطية ووقف مشاريع التوحد والتكامل في المنطقة ومنع وصول الروسي والصيني إلى المياه الدافئة، وإعادة تفعيل خط كركوك – حيفا، وبالتالي فإن بداية الفوز بالمعركة تبدأ من فتح مكة، وإسقاط المشروع الصهيو - وهابي، وإتباع معادلة «سنكون حيث نجب أن نكون».

غارات كيان الاحتلال «الإسرائيلي» وسيلة لتغطية ارتباكه إثر اختطاف المستوطنين

■ حسام زيدان

لم تطل فترة الهدوء الإخباري عن المعارك التي يخوضها الجيش السوري على مختلف المحاور، وعلى امتداد الجغرافية السورية، حتى عاد الحدث السوري إلى واجهة الحوادث الميدانية، بعد اعتداء كيان الاحتلال «الإسرائيلي» على مواقع للجيش السوري في القنيطرة المحرّرة الواقعة في حضن هضبة الجولان المحتل، والذي أدى إلى سقوط شهداء من جنود الجيش السوري، ليعيد تسليط الضوء مجدداً على هذا المحور، لكن هذه المرة عبر التدخل المباشر للكيان «الإسرائيلي». بداية الحكاية، كانت بإعلان جيش كيان الاحتلال «الإسرائيلي» عن مقتل صبي وإصابة ثلاثة آخرين، إثر تفجير سيارتهم التي كانوا يستقلّونها بقذيفة أطلقت من الجانب السوري، بينما قالت روايات إخبارية أخرى من الكيان «الإسرائيلي» أنها عبوة ناسفة وتارة قذيفة هاون، ثم أغار طيران كيان الاحتلال على مواقع عدة للجيش السوري في القنيطرة. إلى أنه من النادر أن تتضارب الروايات لدى إعلام كيان الاحتلال «الإسرائيلي» حول تفاصيل حادثة أمنية، وهذا يدل على التخبط الذي أصاب مصادر تلك الوسائل، كونها لم تعرف كيف تسوّق الخبر للداخل في الكيان «الإسرائيلي»، ليبدأ بعد ذلك السيناريو الجاهز والمخطط له، كيف ذلك؟ من يقرأ الخبر جيداً يعلم أن السيارة المستهدفة هي سيارة تابعة لشركة مقاولات متعاقدة مع وزارة الحرب في الكيان «الإسرائيلي»، وكان الأجدر بمن شاء الاستهداف أن يستهدف الجيب العسكري المرافق للسيارة، فلماذا استهدفت سيارة تقل عمالاً من أصول عربية كانوا ذاهبين لإصلاحات لوجستية في «الجدار الحدودي»، ما يدلّ أن هناك شك أصلاً في الرواية التي سوّقها كيان الاحتلال، وأن المسألة تحتمل أن تكون مبيتة. ويجدر التساؤل هنا: لماذا وكيف وما الهدف؟ لتأتي الإجابة عن هذه الاسئلة من كلام إيهود يعاري معلق الشؤون العربية عبر شاشة «القناة الثانية» في الكيان «الإسرائيلي»، إذ قال إن قصف مواقع في الجولان كان رسالة الكيان «الإسرائيلي» لسورية . وفسر يعاري كلامه قائلاً: «إن اللواء 90 التابع للجيش السوري والذي هاجمته طائرات الكيان «الإسرائيلي» مكلف بالدفاع عن مدينة القنيطرة والطريق المؤدي إلى العاصمة السورية دمشق، وهو أيضاً اللواء الذي يمنع «الثوار» من السيطرة على المنطقة». وأضاف يعاري: «إشارة الكيان «الإسرائيلي» لسورية واضحة، تدمير اللواء 90 وفتح الطريق أمام الثوار». ورأى المحلل يعاري أن غارات الكيان «الإسرائيلي» على تسعة أهداف للجيش السوري انتقاماً لمقتل الفتى محمد قراقرة، يشكل إشارة واضحة لسورية عبر ضرب اللواء 90 الذي يدافع عن مدينة القنيطرة ويوفر الحماية للطريق الى دمشق . ويقول المحلل إن المسلحين السوريين يستعدون منذ بعض الوقت لاحتلال القنيطرة والسيطرة على اللواء 90 الذي يتمركز على عدد من التلال المرتفعة التي تشكل الحاجز الوحيد أمامهم، في حين تفكك معظم اللواء 61 الذي يتمركز جنوب اللواء 90 تحت ضغط المسلحين الذين حاولوا احتلال تل الجموع والجابية، ويواصلون هجماتهم في المنطقة. وتابع يعاري : لا يملك الجيش السوري قوة تستطيع الانتشار في منطقة اللواء 90 من دون أن يؤدي ذلك إلى فتح الطريق أمام المسلحين في جبهات أخرى، لذلك فإن الرسالة كانت واضحة : ثمن التعرض للجولان يعني خراب اللواء 90. بعبارة أدق : فتح الطريق أمام المسلحين للتسلل إلى معسكرات الجيش السوري الكبرى في الكسوة وقطنا وكناكر المحيطة بدمشق. الاعتداء «الإسرائيلي» هو نتيجة احتدام المعارك في القنيطرة، ما دفع الكيان الصهيوني وبشكل واضح إلى التدخل المباشر في محاولة لإيقاف تقدم الجيش السوري، مع ازدياد المعطيات والأدلة على الدعم اللوجستي والمعلوماتي من قبل الكيان للمسلحين، وهذا ما لا يخفيه المسلحون وقادتهم، وحتى الكيان نفسه، بعد نسج علاقة في ما بينهم تعدت علاج الجرحى وتجلت بحلم الكيان «الإسرائيلي» تكرار تجربة جيش العميل أنطوان لحد في جنوب لبنان وإنشاء ما يسمى بالجدار الطيب في الأراضي السورية. الكيان «الإسرائيلي» الذي يعيش هذه الأيام أزمة أسر جنوده الثلاثة في مدينة الخليل في الضفة الغربية يصعّد على الجبهة السورية، فالصفعة التي تلقتها أجهزته الأمنية دفعته إلى إشغال الرأي العام داخل الكيان بحدث مفتعل في هضبة الجولان السوري، محاولاً تحويل الأنظار عن الفشل الذريع الذي تعانيه قوات الجيش والأجهزة الأمنية في الكيان. إلاّ أن للقيادة مصادر مطلعة تؤكد على صلابة محاور الجنوب كافة في درعا والقنيطرة، وأن الجيش السوري ما زال مصمّماً على ملاحقة المجموعات المسلحة التي تعتبر جزءاً من المشروع والحلم في الكيان «الإسرائيلي»، رغم الدعم العسكري المتواصل للمسلحين عبر الحدود الأردنية من جهة وعبر جيش الاحتلال «الإسرائيلي» من جهة أخرى. التطورات السريعة التي تعيشها محافظة القنيطرة وغرب درعا، تبقي الباب مفتوحاً لإرباك المجموعات المسلحة ومن يقف خلفها في الكيان المصطنع والأردن، حول ماذا سيكون رد الدولة السورية؟ هذا الغموض المكتنف باستمرار العمل العسكري، سيشتت جهود الكيان «الإسرائيلي» والمسلحين على حد سواء، كون جواب الرسالة السوري على التدخل المباشر من الكيان «الإسرائيلي» يتحضر ويجهز، ويمكننا التكهن أن هذا الجواب سيكون على محاور عدة وليس على محور القنيطرة ودرعا وحدها، بل سيكون جواباً واضحاً مختصراً وسيتكفل بجميع الإجابات .

«داعش» وأخواتها... الجذور والفروع والغايات

■ فؤاد عيتاني

«داعش»... علاقة متوترة مع مختلف فصائل التفاعل في سورية والعراق الذي نشأت فيه وانتقلت منه الى سورية تحت اسم «الدولة الإسلامية في العراق والشام»و الذي تم اختصر إلى «داعش». اسم آخر لها يُتداول في المناطق التي تسيطر عليها في سورية، بكلمة «الدولة» وهو تنظيم مسلح يُوصف بالإرهاب يتبنى الفكر السلفي الجهادي ويهدف منظموه الى إعادة «الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة». يتخذ من العراق وسورية مسرحاً لعملياته حيث جدال طويل أثاره هذا التنظيم منذ ظهوره في سورية، حول نشأته ممارساته، أهدافه وارتباطاته، ما جعله محور الإعلام. وبين التحاليل والتقارير ضاعت هوية هذا التنظيم وضاعت أهدافه وارتباطاته بسبب تضارب المعلومات حوله. فئة تنظر اليه كأحد فروع «القاعدة» في سورية، وفئة أخرى تراه تنظيماً مستقلاً يسعى إلى إقامة «دولة إسلامية»، وفئة ثالثة تراه صنيعة النظام السوري للفتك بالمعارضة وفصائلها، وبين هذا وتلك وذاك... من هو؟

«داعش» في العراق... الأصول والتأسيس

رغم أن هذا التنظيم حديث الظهور على الساحة السورية، إلاّ أنه ليس تشكيلاً جديداً، بل هو الأقدم بين جميع التنظيمات المسلحة البارزة على الساحة السورية خاصة، والإقليمية عامة. وتعود أصول هذا التنظيم الى عام 2004، حين شكل أبو مصعب الزرقاوي تنظيم أسماه «جماعة التوحيد والجهاد» إذ تزعّم الزرقاوي هذا التنظيم وأعلن مبايعته لتنظيم «القاعدة» بزعامة أسامة بن لادن آنذاك، ليصبح ممثل تنظيم «القاعدة» في المنطقة أو ما سمي بـ«تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين».

برز التنظيم على الساحة العراقية إبان الاحتلال الأميركي للعراق، على أنه تنتظيم جهادي ضد القوات الأميركية، ما جعله مركز استقطاب للشباب العراقي الذي كان يسعى إلى مواجهة الاحتلال الأميركي لبلاده، وسرعان ما توسع نفوذ التنظيم وعديده ليصبح من أقوى الميليشيات المنتشرة والمقاتلة على الساحة العراقية.

في عام 2006، خرج الزرقاوي على الملاّ في شريط مصوّر معلناً تشكيل «مجلس شورى المجاهدين» بقيادة عبدالله رشيد البغدادي. قتل الزرقاوي في الشهر نفسه من إعلانه، وعيّن أبي حمزة المهاجر مسؤولاً لتنظيم «القاعدة» في العراق، وفي نهاية 2006 شُكّل تنظيم عسكري يختصر تلك التنظيمات كافة ويجمع جميع التشكيلات الأصولية المنتشرة على الأراضي العراقية، إضافة الى أنه يظهر أهدافها عبر اسمه «الدولة الإسلامية في العراق» بقيادة أبو عمر البغدادي.

من هو أبو بكر البغدادي أمير «داعش»؟

في الشهر الرابع من عام 2010، تحديداً في 19 نيسان، نفذت القوات الأميركية عملية عسكرية في منطقة الثرثار استهدفت منزلاً كان فيه أبو عمر البغدادي وأبو حمزة المهاجر. وبعد اشتباكات عنيفة بين الجانبين واستدعاء الطائرات قصف المنزل ليقتلا معاً، وبعد أسبوع واحد اعترف التنظيم بالأمر، وبعد نحو عشرة أيام انعقد مجلس شورى الدولة الإسلامية في العراق ليختار أبو بكر البغدادي خليفة لأبي عمر البغدادي، الذي يمثل اليوم «أمير الدولة الإسلامية في العراق والشام» (داعش) ... فمن هو هذا الأمير؟

إبراهيم بن عواد بن إبراهيم البدري المولود عام 1971 في مدينة سامراء العراقية، له العديد من الأسماء والألقاب: «علي البدري السامرائي»، «أبو دعاء»، «الدكتور ابراهيم»، «الكرار»، وأخيراً «أبو بكر البغدادي». هو خريج الجامعة الإسلامية في بغداد، نال فيها البكالوريوس والماجستير ثم الدكتوراه، وعمل أستاذاً ومعلّماً وداعية. ضليع بالثقافة الإسلامية والعلم والفقة الشرعي، ولديه اطلاع واسع على العلوم التاريخية والأنساب الشريفة. ولد باسم إبراهيم بن عواد بن إبراهيم البدري لعائلة متدينة تتبع العقيدة السلفية التكفيرية. والده الشيخ عواد من وجهاء عشيرة البوبدري العراقية التي تعود أصولها الى قريش، وأعمامه دعاة إسلاميون في العراق.

بدأ البغدادي نشاطاته منطلقاً من الجانب الدعوي والتربوي، إلا أنه ما لبث أن انتقل الى الجانب الجهادي حيث ظهر كقطب من أقطاب السلفية الجهادية وأبرز منظّريها في محافظتي ديالى وسامراء العراقيتين. أولى نشاطاته بدأت من جامع الإمام أحمد بن حنبل، مؤسّساً خلايا جهادية صغيرة في المنطقة قامت بعدد من العمليات وشاركت في حروب الشوارع التي شهدها العراق في السنوات الماضية، وأنشأ بعد ذلك أول تنظيم أسماه بـ«جيش أهل السنّة والجماعة» بالتعاون مع بعض الشخصيات الأصولية التي تشاركه الفكر والنهج والهدف، ونشّط عملياته في بغداد سامراء وديالى، ثم ما لبث أن انضم مع تنظيمه الى «مجلس شورى المجاهدين» حيث عمل على تشكيل وتنظيم الهيئات الشرعية في المجلس، وشغل منصب عضو في «مجلس الشورى» حتى إعلان «دولة العراق الإسلامية».

جمعت أبو بكر البغدادي علاقة وثيقة بأبي عمر البغدادي وصلت الى حد أن الأخير أوصى قبل مقتله بأن يكون أبو بكر البغدادي خليفته في زعامة «الدولة الإسلامية في العراق»، وهذا ما حدث في السادس عشر من أيار 2010.

للدولة الإسلامية في العراق تاريخ دموي طويل، فمنذ تولي أبو بكر البغدادي زعامة هذا التنظيم (بعيداً عما نفذته «القاعدة» قبله في العراق في عهد الزرقاوي ومن تبعه) نفّذ التنظيم عدداً كبيراً من العمليات والهجمات الإرهابية التي حصدت أرواح ألوف من العراقيين، أشهرها كانت عملية مسجد أم القرى في بغداد التي أسفرت عن مقتل النائب العراقي خالد الفهداوي، وهجمات انتقامية لمقتل مسؤول تنظيم «القاعدة» السابق أسامة بن لادن، إذ شن عمليات إرهابية عدة في العراق أدت الى استشهاد المئات من رجال الجيش والشرطة العراقية والمواطنين، وتبنى عبر الموقع الإلكتروني التابع لتنظيم «القاعدة» في العراق أكثر من 100 هجوم انتحاري انتقاماً لمقتل بن لادن، تلتها عمليات عدة في العراق صنفت بالنوعية مثل عملية البنك المركزي، ووزارة العدل، واقتحام سجني أبو غريب والحوت.

«داعش» في سورية

من كلمة «شام» أوجد الحرب الأخير من كلمة «داعش»، ففي حين كان التنظيم يدعى «الدولة الإسلامية في العراق»، استغل البغدادي الأزمة التي اندلعت في سورية ليعلن دخوله على خط المواجهات في سورية، ومثل باقي التنظيمات التكفيرية المسلحة والمرتبطة بـ«القاعدة»، وجد البغدادي وتنظيمه مساحة خصبة على الأراضي السورية، بالإضافة الى استغلال الفوضى لتحقيق المكاسب وتوسيع النفوذ، ومن الحدود السورية الواسعة مع العراق دخل تنظيم «الدولة» الى الأراضي السورية، تحديداً الى شرق سورية تحت شعار «نصرة أهل السنّة في سورية» معلنين الحرب على النظام السوري.

وُجدت «القاعدة» في سورية مع ظهور تنظيم «جبهة النصرة» بقيادة أبو محمد الجولاني، أواخر عام 2011، وسرعان ما نمت قدراتها لتصبح في غضون أشهر من أبرز قوى المقاتلة في سورية، ومع إعلان النصرة مبايعتها تنظيم «القاعدة» في أفغانستان بقيادة الظواهري، بدأت التقارير الاستخباريّة والإعلامية تتحدث عن علاقة «النصرة» بـ«الدولة الإسلامية في العراق»، وبدأ اعتبارها امتداداً سورياً لذاك التنظيم المنتشر في العراق.

في التاسع من نيسان عام 2013، عبر رسالة صوتية بُثت عن طريق «شبكة شموخ الإسلام»، أعلن أبو بكر البغدادي دمج «جبهة النصرة» مع «دولة العراق الإسلامية» تحت مسمى «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، وهنا بدأت قصة «داعش».

«داعش» و«النصرة»

بعد ذلك بفترة قصيرة نفى محمد الجولاني (أمير «جبهة النصرة») في تسجيل صوتي علاقته مع «دولة العراق الاسلامية» و«مجلس شورى الجبهة» أن يكونوا أيضاً على علم بإعلان البغدادي عن هذا الإندماج .

يحمل كل من «النصرة» و«داعش» فكراً متشدداً تكفيرياً واحداً، ويعملان بنهج السلفية الجهادية، وهما مؤمنان بقيام «الدولة الإسلامية»، إلاّ أن الفرق بين التنظيمين يكمن في قربهما من الواقع السوري ومراعاتهما هذه الخصوصية، فـ«النصرة» قامت في المرحلة الأولى من الأزمة السورية في نهاية عام 2011، واكتسبت خبرة ودراية بواقع المجتمع السوري الذي يعيش في كنف دولة علمانية وعليه تخرج «جبهة النصرة» الى العلن بنسبة من التطرف أقل من تلك التي تنتهجها «داعش» في علاقتها مع المجتمع السوري، خصوصاً أن «داعش» حديثة الدخول على الأزمة السورية، ولم تنتهج مساراً لتكون مقبولة، بل فرضت بالقوة المسلحة نفوذها.

تأسست «النصرة» من سوريين، بينهم من كان معتقلاً في السجون السورية وأفاد من العفو العام، وبينهم من كان يمارس الدعوة سرياً في سورية قبيل اندلاع الأزمة، وآخرون كانوا منضوين تحت لواء «القاعدة» وقاتلوا في بلدان أخرى كالعراق وأفغانستان والشيشان وعادوا مع بداية الأزمة في سورية للقتال، كما هي حال أمير «جبهة النصرة» أبو محمد الفاتح «الجولاني» وهو جامعي سوري الأصل قاتل في العراق والشيشان وغيرهما، مع عدد لا بأس به من الأجانب.

أما «داعش» فتعتمد إلى حد بعيد على العنصر الأجنبي الذي يتفوق عددياً على العنصر السوري سواء في مواقع القيادة أو بين المقاتلين، ما قد يفسرمراعاة «النصرة» خصوصيات المجتمع السوري، بينما لا تقرّ الدولة بمبدأ أن كل من شارك في الثورة يملك حقاً في تقرير مستقبل سورية، وترى أن الدولة قائمة فعلاً من خلالها.

على الأرض، كل من «جبهة النصرة» و«داعش» حذران في تعاملهما الثنائي، وحريصان على عدم الاحتكاك، إذ لا يعلق أي طرف على مواقف الآخر، وينأى كل بنفسه عن الآخر، وثمة مسافة بين الجبهة والدولة، فالقيادات لا تتعامل في ما بينها. فالتصادم على المدى الطويل سوف يستمر اذا استمرت «النصرة» في إعلان نفسها تنظيماً مستقلاً متعاوناً مع «الجيش الحر» والكتائب المقاتلة التي تعتبرها داعش مرتدة، وإذا تابعت «داعش» في المقابل سياستها بعدم قبول الآخر واعتبار نفسها الجهة الحصرية التي تمثل «الدولة الإسلامية» على الأرض وتسعى إلى استقطاب الجميع تحت لوائها.

استقطبت «داعش» أتباعاً كانوا ضمن «جبهة النصرة»، وكان عددهم كبيراً، خصوصاً في مدينة حلب بعد إعلان البغدادي للدولة الإسلامية في العراق والشام، وها هي منذ أيام تستقطب أعداد من «النصرة» في منطقة البوكال.

كما انضمت إليها فصائل كاملة، بينها «مجلس شورى المجاهدين» بقيادة أبو الأسير الذي عينته الدولة، أميراً على حلب، و«جيش المهاجرين والأنصار» الذي يقوده الشيخ عمر الشيشاني الذي بايعها في معركة مطار «منغ» في آب 2013. كما انضم إلى «الدولة» مقاتلون سابقون في فصائل الجيش السوري الحر من عناصر حركتي «أحرار الشام» و«التوحيد» وغيرهما.

«داعش» و«الجيش الحر»

أما عن العلاقة التي تربط «داعش» بما يسمى بـ«الجيش السوري الحر» فهي أكثر توتراً ودموية من تلك التي تربط «داعش» بـ«النصرة» حيث وصلت سياسة تكفير «داعش» للأنظمة والدول والفصائل الى اعتبار أي فصيل في «الجيش الحر» من الكافرين. ودارت بين الطرفين معارك طويلة مع جميع الكتائب التابعة للحر المنتشرة على الأراضي القريبة من مناطق نفوذ «داعش» أو التي تقع على الخط التي رسمته داعش لدولتها. وفي حين اتهمت «داعش» «الجيش الحر» بالإرتداد عن الدين الإسلامي وتعامله مع النظام السوري، متخذة ذريعة لمهاجمة «الحر» وضرب كتائبه، تتحدث تقارير عن أهداف مادية خلف الصراع الذي يدور بين «داعش» و«الحر»، لا سيما حول النفط والمعابر الحدودية، وبدا جلياً في أماكن الصراع في ريف حلب والحسكة.

دارت المعارك بين الطرفين في إطار محاولات السيطرة على المناطق النفطية والآبار في الحسكة والرقة بخاصة، وحول المعابر الحدودية مع تركيا، مثلما وقع في «إعزاز» عند معبر باب السلامة، أو مثلما حصل قبل مدة قصيرة عند معبر باب الهوى.

مذ أعلنت «داعش» حملتها العسكرية على «الجيش الحر» تحت عنوان «نفي الخبيث... عملاء النظام»، ومن قام بالاعتداء على «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، خاضت معارك عديدة مع «الجيش الحر» ساهمت خلالها في إضعاف هذا الجيش واستهدفت معظم كتائبه، واعتقلت سرية تابعة لـ«كتائب الفاروق» في مدينة حلب. كما أرسلت «داعش» في وقت سابق أيضاً سيارة مفخخة إلى مقر جماعة «أحفاد الرسول» في منطقة سكة القطار في الرقة، وقتل نحو 40 عنصراً ممن يسمون «أحفاد الرسول». كما فجرت «داعش» سيارة في مركز تابع «للواء الله اكبر» في منطقة البوكمال وأدت الى مقتل شقيق قائد اللواء.

بالإضافة إلى المعارك التي شهدتها منطقة إعزاز بين «داعش» و«لواء عاصفة الشمال» على خلفية إشكالات بين عناصر الطرفين، أدت الى انسحاب «لواء عاصفة الشمال» من إعزاز وتفتته في ما بعد وسيطرة «داعش» على المدينة، بعدما فشلت التهدئة التي تمت المصادقة عليها بواسطة «جبهة النصرة» بين الطرفين. وفي أحدث الاشتباكات بين الطرفين اتهم «الجيش الحر» «داعش» بالوقوف خلف الهجوم الذي استهدف مقرّاته ومنشآته بما فيها مخازن الأسلحة التابعة لـ«الجيش الحر» عند معبر باب الهوى بين سورية وتركيا.

«داعش» والأكراد

في إطار سعي «داعش» إلى السيطرة على المنطقة الحدودية شمالاً وشرقاً، اصطدمت «داعش» بالمناطق التابعة للتنظيمات الكردية في شمال شرق سورية، تحديداً في مناطق الحسكة والقامشلي وعندان، حيث اندلعت الاشتباكات بين «داعش» وقوات حماية الشعب الكردي، بعدما سيطرت «داعش» على تلك المناطق، محاولة فرض سلطتها فيها وتطبيق الشريعة الإسلامية فيها، إذ ارتكبت أكثر من مجزرة في حق الأكراد بعد تكفيرهم واتهامهم بالتعاون مع الخارج والعمل لمصلحة النظام. ودارت اشتباكات عنيفة بين الطرفين تمكن خلالها الأكراد من استعادة مناطقهم في شمال وشمال شرق سورية، طاردين «داعش» ومقاتليها من تلك المناطق، فيما فرضت الأخيرة حصاراً على تلك المناطق مستمراً حتى الآن منذ أشهر.

آخر ممارسات «داعش» وانتهاكاتها في حق الأكراد كان خطفها نحو 120 مواطناً كردياً بينهم نساء وأطفال من محيط مدينة أعزاز في ريف حلب، إضافة الى محاصرتها مدينة «منبج» وارتكاب أعمال عنف وقتل في حق أبناء المدينة من الأكراد.

مناطق نفوذ «داعش»

تنتشر «داعش» اليوم على امتداد قوس كبير في الشمال السوري، يبدأ من الحدود العراقية السورية ويمرّ في دير الزور والرقة التي باتت تسيطر عليها على نحو كامل، وصولاً إلى جرابلس ومنبج والباب وإعزاز شمال حلب، إضافة إلى شمال إدلب قرب الحدود التركية، وتسعى دوماً إلى توسيع نفوذها عبر قضم مستمر للمناطق المحيطة بالأراضي التي تسيطر عليها، ولا تلبث أن تعلنها تابعة لـ«الدولة الإسلامية»، فما هي هذه الدولة وكيف تُدار؟ كيف يعيش المواطنون السوريون في ظل «الدولة» عليها؟ وما طبيعة القوانين التي تحكمهم ؟ كيف يتم التعامل مع الأقليات وأصحاب التوجهات المختلفة عن «داعش» في هذه الدولة ؟ وزارات للدولة ومقرّات رسمية ذات محاكم شرعية، إعدامات ميدانية، علاقات مع استخبارات أجنبية وعربية، وأطفال في جيش هذه الدولة وسجونها ... ويبقى السؤال مطروحاً الى متى يستمر تمّدد هذه الظاهرة بين سورية والعراق؟ وهل وصولها الى الأردن قريب؟ وهل ثمة من ينتظرها في شمال لبنان؟ أسئلة تأتي الإجابة عنها في الأشهر القليلة المقبلة.